

خراب الارض

«لان خطاياها لحقت السماء وتذكر الله آثامها ... في الكأس التي مزجت فيها امزجوا لها ضعفا. بقدر ما مجدت نفسها وتنعمت بقدر ذلك أعطوها عذابا وحزنا لانها تقول في قلبها انا جالسة ملكة ولست أرملة ولن أرى حزنا. من أجل ذلك في يوم واحد سنأتي ضرباتها موت وحزن وجوع وتحترق بالنار لان الرب الاله الذي يدينها قوي. وسيبكي وينوح عليها ملوك الارض الذين زنوا وتنعموا معها ... قائلين ويل ويل المدينة العظيمة بابل المدينة القوية لانه في ساعة واحدة جاءت دينونتك» (رؤيا ١٨ : ٥ – ١٠).

« تجار الارض » الذين قد « استغنوا من وفرة نعيمها » « سيقفون من بعيد من أجل خوف عذابها يبكون وينوحون. ويقولون ويل ويل المدينة العظيمة المتسريلة بيز وارجوان وقرمز والمتحلية بذهب وحجر كريم ولؤلؤ ! لانه في ساعة واحدة خرب غنى مثل هذا » (رؤيا ١٨ : ١١ و ٣ و ١٥-١٧).

مثل هذه هي الضربات التي ستسقط على بابل في يوم افتقاد غضب الله. لقد ملأت مكيا لاثمها وقد اتى وقتها ونضجت للهلاك.

وعندما يرد صوت الله سببي شعبه ستكون يقظة مخيفة للذين قد خسروا كل شيء في معركة الحياة العظيمة. ففي اثناء زمن النعمة اعتمتهم مخادعات

الشیطان وبرروا مسلكهم وهم سائرون في الخطیئة. فالأغنیاء تفاخروا بتفوقهم على من كانوا أقل منهم في الغنى، لكنهم كانوا قد حصلوا على ثروتهم بانتهاك شریعة الله. لقد اهتملوا إطعام الجیاع وتقديم كساء للعراة والسلوك بالعدل ومحبة الرحمة. وحاولوا تعظیم انفسهم والظفر بولاء بني جنسهم. أما الآن فقد تجردوا من كل ما جعلهم عظماء وتركوا معدمين وليس من يدافع عنهم. انهم ينظرون برعب الى الهلاك الذي حاق بالاوثن التي قد آثروها على صانعهم. لقد باعوا نفوسهم بغنى الارض وتنعماتها ولم يطلبوا ان يكونوا اغنیاء في ما هو لله. والنتیجة هي ان حياتهم كانت فشلا ومسراتهم استحالَت الآن الى مرارة وكنوزهم صارت فسادا. وارباحهم التي جمعوها مدى الحياة اكتسحت في لحظة. والاغنیاء ينوحون على الدمار الذي يحل ببيوتهم الفخمة وتبديد ذهبهم وفضتهم. لكن بكاءهم ونوحهم سيسكته الخوف من انهم هم انفسهم سيهلكون مع أوثنهم.

تمتلئ قلوب الاشرار حسرة ليس بسبب اهمالهم الاثیم تجاه الله وبني جنسهم بل لان الله قد انتصر. انهم يحزنون بسبب ما صارت اليه الامور لكنهم لا يتوبون عن آثامهم. ولا يدعون وسيلة من دون ان يستخدموها لينتصروا ان امكن.

ينظر العالم الى الجماعة نفسها التي كان الناس يسخرون منها ويهزأون بها ويحاولون استئصالها وهي تعبر في وسط الوباء والعاصفة والزلزلة من دون أن يصاب أحد افرادها باذى. فذاك الذي هو نار آكلة لمن يعصون شریعته هو بالنسبة الى شعبه حصن أمين.

يتمردون على الله

والخادم الذي ضحى بالحق للظفر برضى الناس يكتشف الآن صفة تعاليمه وأثرها. ويبدو ان العين التي ترى وتعرف كل شيء كانت تراقبه وهو يقف في منبره أو يذرع الشوارع أو يختلط بالناس في مشاهد الحياة المختلفة. فكل انفعال

في النفس، وكل سطر كُتب، وكل كلمة قيلت، وكل عمل ساق الناس الى ان يستريحوا في ملجأ الاكاذيب، كل ذلك كان بمثابة القاء البذار، والآن ففي كل نفس شقية هالكة حوله يرى الحصاد.

لقد قال الرب: «يشفون كسر بنت شعبي على عثم قائلين سلام سلام ولا سلام»، « لانكن احزنتن قلب الصديق كذبا وانا لم أحزنه وشددتن ايدي الشرير حتى لا يرجع عن طريقه الرديئة فيحيا » (ارميا ٨ : ١١؛ حزقيال ١٣ : ٢٢).

« ويل للرعاة الذين يهلكون ويبددون غنم رعيتي يقول الرب ! ... هأنذا أعاقبكم على شر أعمالكم». « ولولوا أيها الرعاة واصرخوا وترنموا يا رؤساء الغنم لان أيامكم قد كملت للذبح وأبددكم ... ويبيد المناص عن الرعاة والنجاة عن رؤساء الغنم » (ارميا ٢٣ : ١ و ٢؛ ٢٥ : ٢٤ و ٢٥).

ويرى الخدام والشعب انهم لم يحتفظوا بعلاقتهم الصائبة بالله بل تمردوا على معطي كل شريعة عادلة بارة. وقد نشأ عن طرح الوصايا الالهية جانبا ظهور آلاف من منابع الشر والنزاع والخصومات والكراهية والاثم حتى لقد امست الارض ميدان حرب عظيمة واسعة النطاق وبؤرة للأثم. هذا هو المنظر الذي يبدو الآن لعيون من قد رفضوا الحق واختاروا الضلال واحتضنوه. ولا تستطيع لغة ان تصف الشوق الذي يحس به العصاة والخونة للحصول على ما قد خسروه الى الابد : الحياة الابدية. والناس الذين عبدهم العالم لاجل مواهبهم وفصاحتهم يرون هذه الاشياء على حقيقتها الآن. ويتحققون من طبيعة ما قد خسروه بعصيانهم وينطرحون تحت أقدام الذين قد احتقروا ولاءهم وسخروا باخلاصهم ويعترفون بان الله قد احبهم.

وسيرى الناس انه قد غرر بهم، ويتهم احدهم الآخر بانه هو الذي قاده الى الهلاك، ولكنهم يتفقون جميعا على توجيه أمر الأدانة واللوم الى الخدام. فالرعاة غير الأمناء قد تنبأوا لهم بالناعمات وجعلوا سامعيهم يستهينون بشريعة الله ويضطهدون الذين أرادوا ان يحفظوها مقدسة. فهؤلاء المعلمون، في ياسهم الآن،

يعترفون أمام العالم بان عملهم كان عمل الخداع فتمتلئ قلوب جماهير الناس بثورة غضب واهتياج ويصرخون قائلين : « لقد هلكنا ! وانتم علة هلاكنا »، ثم يهجمون على الرعاة الكذبة. والناس انفسهم الذين اعجبوا بهم قبلأ أعظم اعجاب سيقذفونهم بأرهب اللعنات. والايدي ذاتها التي كللتهم من قبل باكليل الفخر ستمتد الآن لأهلاكمهم. والسيوف التي كانت معدة لقتل شعب الله تُستخدم الآن لاهلاك أعدائهم. وفي كل مكان توجد الحروب وسفك الدماء.

« بلغ الضجيج الى أطراف الارض لان للرب خصومة مع الشعوب هو يحاكم كل ذي جسد. يدفع الاشرار للسيوف يقول الرب » (ارميا ٢٥ : ٣١). فعلى مدى ستة آلاف سنة ظل الصراع العظيم محتدما: ابن الله ورسله السماويون كانوا في حالة حرب مع قوة الشرير لكي يندروا وينيروا ويخلصوا بني الانسان. والآن قد قر قرار الجميع واتحد الاشرار اتحادا كاملا مع الشيطان في حربه ضد الله. والآن جاء الوقت الذي فيه يزكي الله سلطان شريعته المدوسة بالاقدام. والآن لم يعد الصراع قاصرا على الشيطان بل صار صراعا مع الناس. ان « للرب خصومة مع الشعوب »، « يدفع الاشرار للسيوف ».

وان سمة النجاة قد وُضعت على جباه « الذين يئنون ويتنهدون على كل النجاسات المصنوعة ». والآن فها ملاك الموت يخرج ويرمز اليه في رؤيا حزقيال بالرجال الذين بايديهم عدتهم الساحقة والذين صدر اليهم الامر : « الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء، اقتلوا للهلاك. ولا تقربوا من انسان عليه السمة وابتدئوا من مقدسي ». والنبي يقول : « فابتدأوا بالرجال الشيوخ الذين امام البيت » (حزقيال ٩ : ١ - ٦). ان عملية الهلاك تبدأ بالذين اعترفوا بانهم حراس الشعب الروحويون. فالحراس الكذبة هم أول الهالكين. ولا يوجد من يشفق أو يبقي عليهم. فالرجال والنساء والعذارى والاطفال يهلكون معا.

«لانه هو الرب يخرج من مكانه ليعاقب اثم سكان الارض فيهم فتكشف الارض دماءها ولا تغطي قنلاها في ما بعد » (اشعياء ٢٦ : ٢١). « وهذه تكون الضربة التي يضرب بها الرب كل الشعوب الذين تجندوا على أورشليم.

لحمهم يذوب وهم واقفون على اقدامهم وعيونهم تذوب في أوقابها
ولسانهم يذوب في فمهم. ويكون في ذلك اليوم ان اضطرابا عظيما من
الرب يحدث فيهم فيمسك الرجل بيد قريبه وتعلو يده على يد قريبه « (زكريا
١٤ : ١٢ و ١٣). ففي الحرب الجنونية التي فيها تصطرع اهاؤهم العنيفة،
وفي انسكاب غضب الله الصرغ الرهيب يسقط سكان الارض الاشرار من
الكهنة والحكام والشعب والاعنياء والفقراء والعالى والدون ، « وتكون قتلى
الرب في ذلك اليوم من أقصاء الارض الى اقضاء الارض لا يُندبون ولا
يُضمون ولا يُدفنون » (ارميا ٢٥ : ٣٣).

عند مجيء المسيح يُمحي الاشرار عن وجه كل الارض فيبيدهم بنفخة
فمه ويهلكهم ببهاء مجده. وسياخذ المسيح خاصته الى مدينة الله، وتُفرغ الارض
من سكانها. « هوذا الرب يخلي الارض ويفرغها ويقلب وجهها ويبدد
سكانها، « تفري الارض افراغا وتنهب نهبا لان الرب قد تكلم بهذا القول
«، لانهم تعدوا الشرائع غيروا الفريضة نكثوا العهد الابدي. لذلك لعنة اكلت
الارض وعوقب الساكنون فيها لذلك احترق سكان الارض « (اشعيا ٢٤ : ١ و ٣ و
٥ و ٦).

وتبدو الارض كلها كقفر خرب. فخرائب المدن والقرى التي دمرتها الزلزلة،
والاشجار المقتلعة، والصخور الخشنة التي قذفها البحر أو اقتلعت من الارض
نفسها تتبعثر على سطحها، بينما توجد كهوف واسعة تبين الاماكن التي فيها
اقتلعت الجبال من اساساتها.

طرد الشيطان

والآن تقع الحادثة التي ترمز اليها آخر الخدمات المقدسة في يوم الكفارة.
فبعدا كملت الخدمة في قدس الاقداس ورُفعت خطايا اسرائيل من القدس
بفاعلية دم ذبيحة الخطيئة حينئذ قدم تيس عزازيل حيا أمام الرب، وفي محضر

الجماعة يقر رئيس الكهنة عليه « بكل ذنوب بني اسرائيل وكل سيئاتهم مع كل خطاياهم ويجعلها على رأس التيس » (لاويين ١٦ : ٢١). وبهذه الطريقة ذاتها عندما يكمل عمل الكفارة في القدس السماوي توضع في محضر الله وملائكة السماء وجموع المفتدين خطايا شعب الله على الشيطان ويُعلن انه مجرم في كل الشر الذي ساقهم الى ارتكابه. وكما أرسل تيس عازيل الى أرض مقفرة فالشيطان سيُطرد كذلك الى الارض الخربة التي هي بركة مقفرة وموحشة.

ينبئ الرائي بطرد الشيطان وحالة التشويش والخراب التي ستحل بالارض، ويعلن ان هذه الحالة ستظل الف سنة. وبعدها يعرض مشاهد مجيء الرب ثانية وهلاك الاشرار يستمر في سرد النبوة فيقول : « ورأيت ملاكا نازلا من السماء معه مفتاح وسلسلة عظيمة على يده. فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو ابليس والشيطان وقيده الف سنة وطرحه في الهاوية وأغلق عليه وختم عليه لكي لا يضل الامم في ما بعد حتى تتم الالف السنة وبعد ذلك لا بد ان يحل زمانا يسيرا » (رؤيا ٢٠ : ١ - ٣).

ويتضح من آيات اخرى ان عبارة « الهاوية » ترمز الى الارض في حالة التشويش والظلام. وفي ما يختص بحالة الارض « في البدء » فان الكتاب يقول انها « كانت خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة ». (ان الكلمة المترجمة هنا « غمر » هي الكلمة نفسها المترجمة في (رؤيا ٢٠ : ١ - ٣) الى كلمة « الهاوية ») - (تكوين ١ : ٢). فالنبوة تعلمنا ان الارض ستعود الى حالتها الاولى جزئيا على الاقل. وارميا النبي اذ استشرف يوم الله العظيم أعلن قائلا : « نظرت الى الارض واذا هي خربة وخالية والى السموات فلا نور لها. نظرت الى الجبال واذا هي ترتجف وكل الآكام تقلقت. نظرت واذا لا انسان وكل طيور السماء هربت. نظرت واذا البستان بركة وكل مدنها نُقضت » (ارميا ٤ : ٢٣ - ٢٦).

هنا سيكون موطن الشيطان مع ملائكته الاشرار مدة الف سنة. واذا يكون محصوراً في الارض لن يمكنه الوصول الى عوالم اخرى ليجرب ويزعج أولئك الذين

لم يسقطوا قط. وبهذا المعنى يقال عنه انه مقيد، اذ لم يبق احد يمكنه ان يستخدم سلطانه ضده. لقد قُطع تمام من عمل الخداع والخراب الذي ظل مدى قرون عديدة موضوع مسرته الاوحد.

والنبي اشعيا اذ يستبق الاحداث الى زمن سقوط الشيطان يصيح قائلاً :
«كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح. كيف قُطعت الى الارض يا قاهر الامم. وأنت قلت في قلبك اصعد الى السموات ارفع كرسيّ فوق كواكب الله ... أصير مثل العلي. لكنك انحدرت الى الهاوية الى اسافل الجب. الذين يرونك يتطلعون اليك يتأملون فيك. أهذا هو الرجل الذي زلزل الارض وزعزع الممالك الذي جعل العالم كقفر وهدم مدنه الذي لم يطلق اسراه » ؟ (اشعيا ١٤ : ١٢ – ١٧).

فعلى مدى ستة آلاف سنة كان عمل الشيطان بعصيانه كفيلا بان « يزلزل الارض »، « جعل العالم كقفر وهدم مدنه »، « ولم يطلق اسراه ». كان يحبس شعب الله في سجنه وكان يريد ابقاءهم في الاسر الى الابد. لكنّ المسيح حطم قيوده واطلق الاسرى احرارا.

بل حتى الاشرار هم الآن بعيدون عن متناول سلطان الشيطان. فاذ ينفرد بملائكته الاشرار يبقى حيث هو ليتحقق من أثر اللعنة التي قد جلبتها الخطيئة. « كل ملوك الامم باجمعهم اضطجعوا بالكرامة كل واحد في بيته (قبره). اما انت فقد طُرحت من قبرك كغصن اشنع ... لا تتحد بهم في القبر لانك اخربت ارضك قتلت شعبك » (اشعيا ١٤ : ١٨ – ٢٠).

وخلال الف سنة سيتجول الشيطان هنا وهناك في الارض الخربة ليرى نتائج عصيانه ضد شريعة الله. وفي هذه المدة ستكون آلامه هائلة. انه منذ سقوطه كانت حياته حياة النشاط الدائم الذي لا يكل حائلا بينه وبين التفكير. أما الآن فقد جُرد من سلطانه وتُرك ليتأمل مليا في الدور الذي قد لعبه منذ عصى أولا على حكم السماء ولينظر بخوف ورعب الى

المستقبل المخيف الذي فيه يجب ان يتألم لاجل كل الشر الذي فعله ويعاقب على كل الخطايا التي جعل الناس يرتكبونها.

اما بالنسبة الى شعب الله فان اسر الشيطان سيكون لهم سبب فرح وابتهاج. يقول النبي : « ويكون في يوم يريحك الرب من تعبك ومن انزعاجك ومن العبودية القاسية التي استعبدت بها انك تنطق بهذا الهجو على ملك بابل (وهو هنا يرمز الى الشيطان) وتقول كيف باد الظالم ... قد كسر الرب عصا الاشرار قضيب المتسلطين. الضارب الشعوب بسخط ضربة بلا فتور المتسلط بغضب على الامم باضطهاد بلا إمساك » (اشعياء ١٤ : ٣ - ٦).

وفي اثناء الالف السنة بين القيامة الاولى والثانية سيُدان الاشرار. وبولس الرسول يشير الى هذه الدينونة كحدث يعقب المجيء الثاني حين يقول : « اذآ لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب » (١ كورنثوس ٤ : ٥). ودانيال يعلن انه عندما جاء القديم الايام « أعطى الدين لقديسي العلي » (دانيال ٧ : ٢٢). وفي هذا الوقت يملك الابرار كملوك وكهنة لله. وفي سفر الرؤيا يقول يوحنا : « ورأيت عروشاً فجلسوا عليها واعطوا حكماً » « سيكونون كهنة لله والمسيح وسيملكون معه ألف سنة » (رؤيا ٢٠ : ٤ و ٦). وفي هذا الوقت كما قد انبأ بولس قائلاً : « ان القديسين سيدينون العالم » (١ كورنثوس ٦ : ٢) فاذ يكونون متحدين مع المسيح سيدينون الاشرار اذ يقيسون اعمالهم على كتاب الشريعة، الكتاب المقدس، ويحكمون في كل قضية بموجب الاعمال التي عملوها وهم في الجسد. وحينئذ يكال للاشرار النصيب الذي يجب ان يقاسوه بحسب اعمالهم وهو مسجل امام أسمائهم في سفر الموت.

والشيطان والملائكة الاشرار ايضا يدينهم المسيح وشعبه. يقول بولس : « أستم تعلمون اننا سندين ملائكة ». (١ كورنثوس ٦ : ٣). ويهوذا

يعلن قائلا : « والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود ابدية تحت الظلام » (يهوذا ٦).

وفي نهاية الالف السنة تكون القيامة الثانية. وحينئذ يقام الاشرار من الاموات ليمثلوا أمام الله لاجل تنفيذ « الحكم المكتوب ». وهكذا بعدما وصف الرائي قيامة الابرار يقول : « وأما بقية الاموات فلم تعش حتى تتم الالف السنة » (رؤيا ٢٠: ٥). واشعياى يعلن قائلا عن الاشرار : « ويُجمعون جمعا كأسارى في سجن ويغلق عليهم في حبس ثم بعد ايام كثيرة يتعهدون » (اشعياى ٢٤: ٢٢) .